



الأربعون العقديّة

الباب الثالث عشر

البيان في إزهاق حجج من قال بخلق القرآن

كُتِبَ /

أبو بكر إسحاق بن إبراهيم

*** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ***

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) } [آل عمران: 102].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1) } [النساء: 1].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) } [الأحزاب: 70]

إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد :

• صفة الكلام لله تعالى :

نقول:

مذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة الكلام لله عز وجل ، فهي ثابتة لله -تعالى- بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .
فإن الله -تعالى- لم يزل ولا يزال متكلماً إذا شاء، بحروف وصوت ، وهي صفة ذاتية فعلية .

• ومن أدلة ذلك :

- 1- قال تعالى (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (النساء: 164)
- 2- قال تعالى (مَا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرْنِي آيَاتِكَ) (الأعراف/143)

• ومن السنة:

1- الأحاديث القدسية التي يرويها النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها دلالة بيّنة على إثبات صفة الكلام لله عز وجل، ومن ذلك:

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ " 1.

***ومن الأحاديث النبوية الدالة على ذلك :**

1- عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

" مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ " 2.

2- عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال:

لما قُتِلَ عبد الله -يعني أباه- قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم-:

" مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا " 3.

3- أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

" اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَكَ خَطِيئَتِكَ مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ

لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ 4.

**** أما الإجماع:**

فقد أجمع السلف على إثبات صفة الكلام لله عز وجل .

قال ابن القيم :

وقول أتباع الرسل هو إثبات صفة الكلام، وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل. 5

***** والعقل يثبت صفة الكلام لله عز وجل:**

نحن نعلم بالضرورة أن ما يكون متكلماً أكمل ممن لا يكون كذلك ، فإذا كان مجرد إثبات هذه الصفة من الكمال، ومجرد سلبها من النقص؛ وجب ثبوتها لله تعالى . 6

***واعلم أن كلام الله -عز وجل- يتصف بما يلي:**

1- الله - تعالى- يتكلم بصوت :

1 رواه أحمد (7999) ومسلم (2985)

2 متفق عليه .

3 رواه الترمذي (1030) ، وانظر صحيح الجامع (7905).

وقوله صلي الله عليه وسلم: " كفاحاً : أي مواجهة ، ليس بينه وبين الله -تعالى- حجاب ولا رسول.

4 متفق عليه .

5 الصواعق المرسله (ص/501)

6 مجموع الفتاوى (90/6)

قال تعالى (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الشعراء/10) **وجه الدلالة:** النداء لا يكون إلا بصوت مسموع .

***** ومن السنة:**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ " .7

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

إن ما أخبر الله -تعالى- به في كتابه من تكليم موسي ، وسمع موسي لكلام الله يدل على أنه كلمه بصوت، فإنه لا يسمع إلا الصوت، وصوته تعالي ليس كأصوات شيء من مخلوقاته، فإن الله لا يماثل المخلوقين في شيء من الصفات، فمن شبهه الله بخلقه فقد أهدى في أسمائه وآياته. 8

وقال رحمه الله:

قد أخبر الله - تعالي - في القرآن بنداؤه لعباده في أكثر من عشرة مواضع، والنداء لا يكون إلا صوتاً باتفاق أهل اللغة وسائر الناس . 9

(2) كلام الله - عز وجل - يتكلم بحرف :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ: {الم} حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَاَمٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ . 10

قال ابن قدامة :

ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن حرفاً متفقاً عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف. 11

7 متفق عليه.

8 بتصرف يسير من مجموع الفتاوى (531/6).

9 منهاج السنة النبوية (423/5)

وممن نص على ذلك :

البخاري في خلق أفعال العباد(ص/98) والنووي في رسالته "نكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات(ص/56) وأحمد في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (ص/280)

10 أخرجه الترمذي(2910) وصححه الألباني في (الصحيح:3327) .

11 وانظر لمعة الاعتقاد(ص/21)

***فإن قيل : أن إثبات الحرف والصوت في صفة الكلام لله - عز وجل - يلزم منه إثبات المخارج، وهذا مما لا يثبت في حق الله عز وجل ؟¹²**
الجواب:

1- هذا يخالف الكتاب والسنة وأقوال الأئمة الذين أثبتوا الصوت والحرف في صفة كلام الله عز وجل.
2- من المخلوقات من نطق بصوت وحرف ولم يعلم لها مخارج، فقد تكلمت الجنة والنار والسموات والأرض والطعام والحجر والجلود.... ، وغيرها وهذه الأشياء مما لم ينكر أحد كلامها بدعوي أن ليس لها مخارج .
فإذا كان هذا في حق المخلوقات ، فكيف في حق الخالق؟!

• **أما قوله - رحمه الله- : والمخارج مما لا يثبت في حق الله!!**

نقول: وهذا مما سكت عنه السلف، ولم يتكلموا فيه نفيًا ولا إثباتًا .
فقولنا في مثل هذا المقام أن نتوقف حيث أوقفنا الشرع، وأن يسعنا ما وسع سلفنا، ومن لم يسعه ما وسع السلف فلا وسع الله عليه.
قال ابن حجر:

وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين لأنه عهد أنها ذات مخارج، ولا يخفي ما فيه إذ الصوت قد يكون من غير مخارج، وصفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق، وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الإيمان بها ثم إما التفويض وإما التأويل .أ. هـ¹³
وكذا قال البيهقي:

1- أن الصوت لا يثبت في حق الله عز وجل، لما فيه من المشابهة، حيث قال:
" تعالي الله عن شبه المخلوقين علواً كبيراً "
2- الأحاديث الواردة في إثبات صفة الصوت لله -عز وجل- ضعيفة .
، وإن صحت فليست على ظاهرها ، بل يراد به صوت الملك ، لا صوت الله....
فجوابه:

أما الاعتراض الأول فجوابه:

¹² وهذا مما اعترض به البيهقي في كتابه الأسماء والصفات (28/2) حيث قال :
ثم إن كان المتكلم ذا مخارج، سمع كلامه ذا حروف وأصوات، وإن كان المتكلم غير ذي مخارج سمع كلامه غير ذي حروف وأصوات، والباري -جل ثناؤه - ليس بذي مخارج، وكلامه ليس بحرف ولا صوت.

¹³ فتح الباري شرح صحيح البخاري(640/13)

فائدة : قوله -رحمه الله -في آخر كلامه " إما التفويض وإما التأويل " قلت: بل هو التفويض الذي نكل فيه العلم بالكيفية إلى الله عز وجل ، وليس تفويض المعني، أما التأويل فإن كان المقصود به صرف اللفظ عن ظاهره فلا ، وإن قصد به ما كان تفسيراً لمعني فنعم ، فالصوت في اللغة غير مجهول ،والكيف به غير معقول ،والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

إذا كان إثبات صفة الكلام لله -عز وجل- على ما يليق بالله عز وجل-وهذا مما تقول به- فلماذا لم لا تثبت لله عز وجل صفة الصوت على ما يليق بالله عز وجل، دون أن يلزم من ذلك مشابهة بين الخالق والمخلوق.

أما القول بتضعيف الأحاديث الواردة في إثبات صفة الصوت...

فجوابه:

بل هي أحاديث صحيحة قد رواها أصحاب الصحاح ، كالبخاري ومسلم ، وهما أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل بإجماع الأمة.

***** أما اعتراضه الثالث فجوابه:**

هذا خلاف ظاهر الأحاديث فقد قال صلي الله عليه وسلم:

"يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ...." فهل يقال في مثل هذا في صوت المَلَكِ؟؟!

ويلزم من القول بنفي الصوت عن كلام الله -عز وجل- أن الله لم يُسمع أحداً من ملائكته ورسله كلامه بل ألهمهم إياه .

• الأدلة من الكتاب على أن القرآن كلام الله غير مخلوق :

أولاً: أدلة الكتاب:

1-قال تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (6)) (التوبة: 6) .

وجه الدلالة: قوله تعالى: "حتى يسمع كلام الله":

أضاف الكلام إلى نفسه إضافة صفة إلى موصوف ، مما يدل على أن كلام الله – ومنه القرآن- هو صفة من صفات الله ، وصفاته تعالى غير مخلوقة.

2-قال تعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف: 54)

وجه الدلالة: القاعدة "الأصل في العطف المغايرة"

فلما عطف الأمر على الخلق، والقرآن من الأمر، بدليل قوله تعالى(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) (الشورى: 52) دل أن القرآن كلامه تعالى غير مخلوق.

قال أبو الحسن الأشعري :

قوله " ألا له الخلق " في جميع الخلق ، ثم قال بعد ذكره الخلق " والأمر " :

فأبان الأمر من الخلق، وأمر الله كلامه، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق .¹⁴

3- قال تعالى (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82)) (يس:82)

وقد احتج سفيان بن عيينة وغيره من السلف على أن كلام الله -تعالى- غير مخلوق

بأن الله خلق الأشياء بـ " كن " . فلو كانت " كن " مخلوقة لزم أن يكون خلق مخلوقا

بمخلوق فيلزم التسلسل الباطل . وذلك أنه إذا لم يخلق إلا بـ " كن " فلو كانت " كن

" مخلوقة لزم أن لا يخلق شيئاً. وهو الدور الممتنع .¹⁵

¹⁴ وانظر الإبانة عن أصول الديانة (ص/72)

¹⁵ وانظر مجموع الفتاوي (378/16) وخلق أفعال العباد (ص/30)

4- قال تعالى (وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)

(السجدة/13)

قوله تعالى: "حق القول مني" دل على أن كلام الله- عز وجل -من الله، فمن زعم أن كلام الله مخلوق ؛ فقد زعم أن من الله شيئاً مخلوقاً، ومن قال بذلك فقد كفر.

وقد فسره بذلك : سفيان بن عيينه و أحمد بن حنبل , ونعيم بن حماد , والحسن بن الصباح البزار , وعبد العزيز بن يحيى الكناني .¹⁶

5- قال تعالى (الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ) (الرحمن: ١ - ٣).

فلما جمع في الذكر بين القرآن الذي هو كلامه وصفته ، وبين الإنسان الذي هو خلقه ومصنوعه، خص القرآن بالتعليم، والإنسان بالتخليق، فلو كان القرآن مخلوقاً كالإنسان لقال: خلق القرآن والإنسان .¹⁷

6- قال تعالى (وَلئن اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة/145) ، وقال تعالى (فَأَلِّمِ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ

(هود/14)

سئل الإمام أحمد عن يقول القرآن مخلوق ؟

فقال: كنت لا أكفرهم حتى قرأت آيات من القرآن " ولئن اتبعت أهواءهم من بعدك ما جاءك من العلم " وقوله " بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ " وقوله " أنزله بعلمه " فالقرآن من علم الله ، ومن زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر .¹⁸

ثانياً: أدلة السنة:

1- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّدُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ «أَعِيدُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَأَمَّةٍ» ، ثُمَّ يَقُولُ: « كَانَ أَبُوكُمْ يُعَوِّدُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ » قَالَ أَبُو دَاوُدَ: هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ .¹⁹

وجه الدلالة:

استعاد النبي -صلي الله عليه وسلم -بكلام الله عز وجل ، فلو كان كلام الله مخلوقاً لما جاز الاستعادة به، وذلك لإجماع أهل العلماء على أن الاستعادة بالمخلوق شرك. وكان الإمام أحمد بن حنبل يستدل بهذا الحديث على أن القرآن غير مخلوق.²⁰

قال ابن بطه:

فهل يجوز أن يُعَوِّدَ النبي - صلى الله عليه وسلم - بمخلوق، وهل يأمر أمته أن يتعبدوا بمخلوق مثلهم؟!²¹

¹⁶ ذكره ابن بطه في الإبانة (218/5) واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (344/2)

¹⁷ وانظر الاعتقاد للبيهقي (ص/87)

¹⁸ وانظر طبقات الحنابلة (ص/18) والمحلّى بالأثار (32/1) وتناقضات الأشاعرة (ص/84)

¹⁹ رواه أبو داود (4737) وأحمد (2112) وصححه الألباني .

²⁰ ذكره الخطابي في معالم السنن (557/3) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص/216).

²¹ وانظر الإبانة الكبرى (261/5)

2- عن جويرية رضي الله عنها -قالت: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 " لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ:
 سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ .²²
وجه الدلالة:

في الحديث دلالة على أن كلام الله غير مخلوق ؛ وذلك حين عطف كلمات الله -
 تعالى- على مخلوقاته، والأصل في عطف المغيرة ، فلو كانت كلمات الله من خلقه
 لما غاير بينهما.

3- عن عُبَادَةَ بن الصامت -رضي الله عنه- قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْآبِدِ " ²³ ، قد كان الكلام قبل خلق القلم، وإذا كان أول خلق الله من شيء القلم دل على أن كلامه ليس بمخلوق؛ ولأنه قبل خلق الأشياء .²⁴

4- عن أبي هريرة رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال :
 فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه " ²⁵

فلو كان كلام الله مخلوقاً لم يكن فضل ما بينه وبين سائر الكلام كفضل الله على خلقه .²⁶

ثالثاً: الإجماع:

قال أحمد بن حنبل :

- أجمع العلماء والأئمة المتقدمين على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، هذا الذي أدركت عليه الشيوخ .²⁷

قال البغوي : وقد مضى سلف الأمة وعلماء السنة على أن القرآن كلام الله ووحيه وليس بخالق ولا مخلوق، والقول بخلق القرآن ضلاله وبدعة .²⁸

***تاريخ محنة الأمة :**

إنها محنة خلق القرآن، تلك المحنة التي تعرضت لها أمة الإسلام في أواخر عصر التابعين، حين ظهر القول بخلق القرآن علي يد أناس قد جحدوا ما وصف الله عز وجل به نفسه تعمقاً وتكلفاً ، فعدلوا عن وحي الرحمن إلي وحي الشيطان {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ} (الأنعام: 121)
 وتاريخ هذه المحنة القول بخلق القرآن يعود تاريخها إلي عصر التابعين، ففي ذلك العصر بدأ ظهور هذا القول المحدث .²⁹

²² رواه مسلم ((2726))

²³ أخرجه أحمد(22705) وأبو داود (4700) والترمذي(2155) وابن أبي عاصم في

السنة(107) وصححه الألباني في صحيح الجامع (2018) والسلسلة الصحيحة(133)

²⁴ انظر الشريعة للأجري (1/224) وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (2/342)

²⁵ أخرجه أبو داود(4734) والترمذي(2925) وصححه الترمذي .

²⁶ انظر الرد على الجهمية لعثمان الدارمي(ص 162/)

²⁷ طبقات الحنابلة (1/172).

²⁸ وانظر شرح السنة (1/168).

²⁹ **قائده:**

وعليه فكل ما ورد من آثار مرفوعة أو موقوفة في هذا الباب فمما لا يصح سنده .

ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال بخلق القرآن هو الجعد بن درهم ثم أخذ عنه ذلك جهم بن صفوان ولهم في ذلك أصول.

حيث كانت النسبة لهذا النبت الخبيث تعود إلى الرجل اليهودي لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم، والتي منه بدأت سلسلة الحطب حيث أخذ عنه هذه العقيدة التالفة ابن أخته طالوت ، وأخذها عن طالوت بيان بن سمعان وأخذها عن بيان الجعد بن درهم، وأخذها عن الجعد الجهم بن صفوان، وإليه نسبت جماعة الجهمية ؛ لأنه هو الذي أشاع مذهبهم المخذول.

ثم نقله عن الجهم بشر بن غيَّاث المريسي ، شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون وجدَّد القول بخلق القرآن.

ثم تقلَّد عن بشر المريسي ذلك المذهب قاضي المحنة أحمد بن أبي دؤاد .³⁰

وقد كان ابن أبي دؤاد مقرباً عند الخليفة المأمون فلبس عليه بمقالة خلق القرآن ، حتى حملها عليها واستماله إليها . ثم صار قاضياً عند المعتصم والواثق واشتدت المحنة على علماء الأمة بسبب مقالته تلك .

وكان بسبب ذلك من اضطهاد لعلماء السنة من الحبس والضرب والقتل ، فمن العلماء من أجابهم إلى ذلك، ورأى أن هذا موضع إكراه ، ومنهم من عرض بالقول ؛ ليأمن شرهم .³¹

ومن ذلك ما ورد مرفوعاً: "القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق" قد ورد من عدة طرق فيها " أبو الدرداء وابن مسعود وجابر " ، ولكن لا يصح منها شيء ، وأسانيدُها مظلمة لا يحتج بها ولا يستشهد بها.=

=قال ابن القيسراني : وهذا مما يعد في منكرات محمد بن حميد الرازي. وكذلك ممن وضعها : محمد السمرقندي الذي كان يحدث بأحاديث مناكير ، وقد نص على وضع هذه الأحاديث: البيهقي وابن حجر .

وقال السخاوي : وهذا الحديث من جميع طرقه باطل ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. وانظر الفوائد الموضوعية في الأحاديث الموضوعية (ص/63) وسؤالات حمزة بن يوسف السهمي للدارقطني (ص/58) وذخيرة الحفاظ (ح/3382) وترتيب موضوعات ابن الجوزي للذهبي (ص/17)

*وكذلك فإنه لا يصح عن الصحابة رضي الله عنهم- شيء في هذا الباب ، حيث أنه لم تكن قد ظهرت في عصرهم، إنما ظهرت كما ذكرنا في عصر التابعين.

³⁰ وتأمل في خواتيم أهل البدع كيف تكون؛ أما الجعد بن درهم فقتله أمير الكوفة خالد بن عبد الله القسري، قتله يوم عيد الأضحى، وذلك أن خالداً خطب الناس فقال:

أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ؛ فإنني مضج بالجعد بن درهم ؛ فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل وذبحه. وقد نص الذهبي وابن حجر على شهرة هذه القصة . وانظر مختصر العلو (ص/133) وخلق أفعال العباد (ص/8)

وأما الجهم بن صفوان فقد قتله سلم بن أحوز نائب أصبهان. ذكر ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام (389/3)

وأما أحمد بن أبي دؤاد فقد ابتلي بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى أهلكه الله سنة أربعين ومائتين.³¹ وكان ممن أجابهم إلى القول بذلك، الإمام علي بن المديني رحمه الله، فقد كان يقول عن هؤلاء المنتحلين لهذه المقالة: هم كفار ضلال، وكان يكوِّن من يقول بخلق القرآن، بل ويعيد الجمع إذا صلاها خلف المأمون، ولكنه رحمه الله - كما قال عنه ابن معين: رجل خاف فقال .

ومنهم من ثبت على قول الحق، قول أهل السنة والجماعة، ورأي أن هذا موطن
جهاد لا يسوغ النكوص ولا الاستسلام.
وكان على رأس من ثبتهم الله -عز وجل- في هذه المحنة هو الإمام أحمد بن حنبل
الذي صدع بالحق رغم ضرب السياط والحبس .
لذا قال علي بن المديني: إن الله نصر الدين بأبي بكر يوم الردة ، وبأحمد يوم
المحنة³².

***وكذلك :** فمن الأئمة الذين ثبتوا على القول الحق :

أبو مسهر عالم دمشق ونعيم بن حماد عالم مصر والبويطي فقيه مصر وعفان
محدث العراق ، والفضل بن دكين عنقي أهون عندي من زري هذا ، وأحمد بن
نصر.

وطائفة سواهم ، وقد مات الإمام البويطي في حبسه مقيداً في الأغلال ؛ لثباته علي
الحق ، كذلك ثبت الإمام محمد بن نوح ، ومات في السجن ، وأحمد بن نصر الذي
قتله الوثائق وصلبه .

**لقد أدرك هؤلاء الأئمة - رحمهم الله - أن القول بخلق القرآن يلزم منه وصف الله
بالنقص؛ إذ أن الله -تعالى- ليس متكلماً ، بل خلق كلاماً كسائر ما خلق من
مخلوقاته ؛ إن في حقيقة قولهم الباطل هو نفي صفة الكلام عن الله عز وجل،
تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .**

لذا رأى هؤلاء الأئمة - رحمهم الله - أن الثبات في هذه المحنة هو جهاد في سبيل
الله عز وجل ؛ صيانة للدين وحماية للأمة.

لقد توالى غيام هذه المحنة في سماء الأمة في عصر المأمون، ثم المعتصم، ثم
الواثق ، حتى أذن الله -تبارك وتعالى- لهذه المحنة أن ترفع، وذلك حينما تولى
الخليفة المتوكل، وكان إماماً محباً لعقيدة السلف ، فأبطل المحنة وأبطل القول
بخلق القرآن .

وقد بويح المتوكل بن المعتصم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وعمره ست وعشرون
سنة فإظهر الله -عز وجل- به السنة، وكشف تلك الغمة ، وأمر العلماء أن يجلسوا
للناس، وان يحدثوا بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية .

وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

(كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ
فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17)(الرعد: ١٧))

أقوال الفرق المخالفة والرد عليهم :

1- الجهمية والمعتزلة والخوارج:

قالوا :

إن الله - تعالى - يتكلم بكلام يسمع، وبحرف، ومتى شاء، وبما شاء، ولكن ليس

وقال هو عن نفسه لما سئل : خفت أن أقتل ، وتعلم ضعفي أني لو ضربت سوطاً لمت، وقال: قوي
أحمد على السياط، ولم أقدر. سير أعلام النبلاء (114/9) وتهذيب التهذيب(219/4).

³² طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى(28/1)

كلامه صفة فيه، بل كلامه مخلوق من مخلوقاته بائن منه .
وعليه كلام الله -تعالى- عندهم ليس معنيّ يقوم بذات الله عز وجل، بل هو شيء من مخلوقاته كالسما والارض والناقة ، فكلام الله حروف خلقها الله وسمّاها كلاماً ، كما خلق الناقة وسمّاها ناقة الله، وكما خلق البيت وسمّاها بيت الله، وإنما نسب الله الكلام إلى نفسه تشريفاً وتعظيماً.

* وعلى هذا المذهب لا يوصف الله -تعالى- بالكلام في الواقع، وإنما يوصف بأنه خالق الكلام، ومن ثم بنوا على هذا قولهم: إن القرآن مخلوق .
واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (القصص:30)

فقالوا:

قوله تعالى : "من الشجرة " :
فيه دلالة أن الله خلق الكلام في الشجرة، فسمعه موسى -عليه السلام- منها.³³
*الرد على الجهمية والمعتزلة:
أما قولهم أن الله - تعالى - يتكلم، ولكنّ كلامه ليس صفة له، بل كلامه مخلوق...
فالرد من وجوه :

1- هل يجوز لمخلوق أن يقول (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) ، فمن قال ذلك فقد زعم أن غير الله ادعي الربوبية. ولو كان كما قال الجهمي: لكان قول ذلك المخلوق : (يا موسى إن الله رب العالمين فاعبده....)
2-ولو كان كلام الله -تعالى- قد خلقه في الشجرة فسمعه موسى -عليه السلام- لترتب على ذلك:

أن كل كلام يمكن أن يكون كلام الله، حتى كلام البشر يمكن أن نقول إنه كلام الله، لأنه مخلوق في الإنسان، بل إن كلام البشر-على قاعدتكم - يكون أشرف من كلم الله ؛

³³فائدة مهمة:

الجهمية المعطلة نفاة صفة الكلام ، هم كفار نوعاً و عيناً، كما أنهم خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة، فهم زنادقة كفار بإجماع العلماء .
أما المعتزلة: فهم لم ينفوا كلام الله صراحة، بل قالوا: كلم الله موسى ولكن جعلوا كلام الله مخلوقاً ، فهذه شبهة قد منعت من تكفيرهم، وإن كان الخلاف قائماً في جعلهم ضمن فرق الأمة، والراجح.

أنهم ضمن فرق الأمة، وذلك لأن التأويل من موانع التكفير.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : المتأول الذي قصده متابعة الرسول لا يكفر، بل ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ. وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية. وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفر المخطئين فيها ، وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع، الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية .
وانظر منهاج السنة النبوية (123/5).

وهذا يوضح لنا الجمع بين قول أحمد بن حنبل بتكفير من قال بخلق القرآن ، مع عدم تكفيره لأعيان المعتزلة القائلين بذلك، وعدم خروجه على المأمون وقتاله إياه.

لأنه مسموع من البشر الذي فضّله الله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وكلام الله عندكم مسموع من الشجرة .

* أيضاً نقول:

ولو سمع موسى- عليه السلام - كلام الله من غيره - كما تقول المعتزلة-لما كان لموسى عليه السلام مزية ولا فضل علي غيره من البشر، لأننا نسمع كلام الله عز وجل على الحقيقة.
* وإذا كانت الشجرة هي التي خلق فيه كلام الله، فسمعه موسى- عليه السلام - منها بزعمكم، للزم من ذلك أن يكون من سمع كلام الله من محمد -صلي الله عليه وسلم - أفضل مرتبة من موسى، لأنه سمعه من شجرة .³⁴

* كذلك يقال :

قال تعالى (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (النساء/64)
قال النحاس : أجمع النحويون على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازاً .
فإذا قال تكلّماً وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة التي تعقل .

قال القرطبي :

"تكلّماً" مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان من يقول:
خلق نفسه كلاماً في الشجرة، بل هو الكلام الحقيقي على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً .³⁵

أما قولهم:

كلام الله هو حروف خلقها وسمّاها كلاماً، كما سمّي الناقة: ناقة الله، والبيت: بيت الله.
فجوابه: أن المضاف إلي الله عز وجل على نوعين:

أ- أعيان ب- معاني

أما الأعيان : فتضاف إلي الله- عز وجل- إما:

(إضافة تشريف أو إضافة ملكية)

وكلا النوعين جمعتهما الآية (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله

(

فقوله تعالى (هذه ناقة الله) هذه إضافة تشريف، وقوله (في أرض الله) هي إضافة ملكية .

• أما المعاني فتضاف إلي الله -عز وجل- على نوعين:

1- معني لا يقوم بالله؛ فيكون إضافته إلى الله على سبيل التشريف، كما ورد في الحديث القدسي "مرضت فلم تعدني".

2- أن يكون المعني المضاف لله هو معني يقوم بالله:

³⁴ وانظر درء تعارض العقل والنقل (436/2) والفصل في الملل والنحل (37/2) و شرح

السفارينية لابن العثيمين (ص/176)

³⁵ وانظر الجامع لأحكام القرآن (18/6) وفتح الباري (675/13)

فتكون إضافته إضافة صفة إلى موصوف، مما يدل على أنها صفة قائمة بالله عز وجل، فيدخل في هذا الباب إضافة الكلام إلى الله -عز وجل- فهي دالة على ثبوت صفة الكلام لله ، قال تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)
***ومن الرد عليهم:**

أن قولهم في صفة الكلام لله -عز وجل- قول مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف، هو مناقض لأقوال الأنبياء صلي الله عليهم وسلم أجمعين.
كما أنه خلاف المعقول لأن الكلام صفة للمتكلم، وليس شيئاً قائماً بنفسه منفصلاً عن المتكلم .

كما أنه لا يُعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم لا يقوم به القول والكلام وإنما قام الكلام بغيره .³⁶

قال تعالى (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) (الأنعام: 114).
فيه بيان أن القرآن قد أنزله الله سبحانه وتعالى ، وليس من مخلوق من المخلوقات، لهذا قال السلف:

منه بدأ، أي: هو الذي تكلم به ولم يبتدأ من غيره ، كما أدعته الخلفية.

قال أحمد بن حنبل:

كلام الله من الله ، ليس بائناً منه ، وإذا كان المخلوق كلامه منه، لا من غيره، دل أن الكلام إنما يقوم بالمتكلم .³⁷

***أما ما استدلوا به من قوله تعالى (فَلَمَّا آتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (30)**
(القصص/30)

فجوابه أن نقول:

النداء هو الكلام من بعد، فقد سمع موسى -عليه السلام- النداء الذي كان في البقعة المباركة من عند الشجرة ، كما نقول: سمعت كلام زيد من البيت، فيكون معنى "من البيت" لا ابتداء الغاية ، لا أن البيت هو المتكلم ؛ إذ لو كان الكلام مخلوقاً من الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .³⁸

2-قول الكلابية والأشاعرة :

أما الكلابية:

فسبب هذه التسمية يعود إلى أول من أشتهر بهذا القول وهو عبد الله بن سعيد بن كلاب³⁹،

³⁶ وانظر لمعة الاعتقاد (ص/18) وشرح الطحاوية (ص/138)

³⁷ بتصرف يسير من مجموع الفتاوي (297/12)، وفي كلام أحمد رد على الجهمية والمعتزلة القائلين بأن الله قد خلق كلامه في بعض مخلوقاته، وأن كلامه ليس منه.

³⁸ وانظر شرح الطحاوية (ص/134).

³⁹ قال الذهبي: ابن كلاب رأس المتكلمين ، وكان يلقب كلاباً لأن يجر الخصم إلي مذهبه ببلاغته، أراد معارضة من قال بخلق القرآن فقال بقول لم يسبق عليه . سير أعلام النبلاء(11/175)

أما قولهم في صفة الكلام فإنهم قالوا:

أن الله يتكلم بغير مشيئة، بل كلامه هو معنى قديم لازم قائم بذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يُسمع منه على الحقيقة، بل المسموع هو حروف وأصوات مخلوقة منفصلة عن الرب ، دالة على ذلك المعنى القديم وهو القرآن، وهو غير مخلوق.

*** أما الأشاعرة :

فقالوا:

إن كلام الله صفة من صفاته وليس بمخلوق ، وهذا كلام معنى قائم بذاته ، وأما اللفظ فهو مخلوق ليبدل على ذلك المعنى .
فالكلام النفسي عندهم هو معنى واحد ، لا يتجزأ ولا يتبعض ، هو الأمر والنهي، والخبر والاستخبار .
إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً .
*وإنما قال الأشاعرة ذلك لأنهم ينكرون كل صفات الأفعال، ويجعلون كلام الله هو الكلام النفسي القديم وليس متعلقاً بوقت معين ، والقرآن عندهم إنما هو عبارة عن كلام الله.

وبهذا تراهم جمعوا بين متناقضات حين جعلوا القرآن من حيث معناه: غير مخلوق، ومن حيث حروفه إنما هو من عند مخلوق.⁴⁰
فالحاصل أن الأشاعرة والمعتزلة متفقان أن حروف القرآن وألفاظه مخلوقة ، أما الأشاعرة فيقولون القرآن هو الكلام النفسي ، وهذا قديم غير مخلوق ، ويطلق على الألفاظ قرآن إما مجازاً أو اشتراكاً .
والمعتزلة يخالفونهم في ذلك ، فلا يثبتون كلاماً نفسياً ، ويقولون الكلام لا يتصور من دون اللفظ ، وإنما هو العلم والإرادة .
وإذا تحققت من أن الكلام النفسي يؤول ويرجع - ولا بد - إلى العلم والإرادة - أو العلم وحده - كان الخلاف بينهما لفظياً .
فحقيقة الخلاف اللفظي هو الخلاف الراجع لمجرد اختلاف العبارة ، أو هو الخلاف الذي لا ثمره له ، أو هو الخلاف الذي لو اطلع كل مخالف على حقيقة قول مخالفه لما خالفه .

*وقد فطن إلى ذلك المحققون من أهل السنة ، وكذا محققو الأشاعرة من المتأخرين ، ممن حقق الأقوال وعرف لوازمها.⁴¹

***تأمل :** الفرق بين الخلقية كالجهمية والمعتزلة وبين الأشاعرة والكلابية .
حيث أن الخلقية يقولون: لا يقوم بذات الله كلام ، ولكنه مخلوق يتعلق بمشيئة الله.

⁴⁰ تنبه للفرق بين الأشاعرة والكلابية ، فإن الكلابية قالوا: القرآن حكاية عن كلام الله والأشاعرة قالوا: عبارة عن كلام الله، والعبارة أدق من الحكاية، فمعنى عبارة: أن معناه طبق الأصل لكلام الله النفسي، وعند الكلابية قالوا بالحكاية ؛ لأن الحكاية يكون فيها شيء من السعة، أوسع من العبارة

⁴¹ من مقال " لم كان القول بخلق القرآن كفرأ ؟ " (للشيخ : عمرو بسيوني).

أما الأشاعرة والكلابية فقالوا: لله كلام هو معني قديم بذاته لا يتعلق بالمشيئة. 42

*الرد على الأشعرية والكلابية:

1- قولكم هذا مما لم يظهر في الأمة إلا من قبل ظهور ابن كلاب ، وعنه تقلده أبو الحسن الأشعري وسائر أئمة الأشعرية. 43

إذ قبل قول ابن كلاب لا يعرف في الأمة أحد فسّر كلام الله -تعالى- بهذا .
فقولكم بالكلام النفسي قد خالفتم به الكتاب والسنة وإجماع الأمة التي أثبتت لله -تعالى- صفة الكلام بحرف وصوت على الحقيقة ، وليس كلاماً نفسياً أو معني قائم بالذات كما تزعمون.

2-قال تعالى " وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ (51) (الشورى: ٥١) " فلما فرّق الله بين التكليم والوحي العام ؛ دل ذلك على إبطال القول بأن كلام الله هو معني واحد قائم بذاته.

3-قال تعالى (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْغَافِلِينَ) (الشعراء/10) **وجه الدلالة:**

النداء لا يكون إلا بصوتٍ مسموع باتفاق أهل اللغة وسائر الناس.
* عن عبد الله بن أنيس -رضى الله عنه- أن النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: " يَحْتَشِرُ اللهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ " 44

42 والذي حمل الكلابية والأشاعرة على قول بأن كلام الله عز وجل معني، وليس كلاماً على الحقيقة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال:
أنهم لما ناظروا المعتزلة في إثبات الصفات، وأن القرآن ليس بمخلوق، رأوا أن ذلك لا يتم إلا إذا كان القرآن قديماً، وأنه لا يكون قديماً إلا إذا كان معني قائماً بنفس الله كعلمه ؛ وذلك لامتناع قيام الأمور الحادثة به، فخالفوا بذلك جمهور المسلمين . وانظر مجموع الفتاوي (579/12)
وعليه فإن الجهمية والمعتزلة خير من الأشاعرة من هذا الوجه ؛ حيث علّقوا صفة الكلام بـمشيئة الله، في حين أن الأشاعرة جعلوا كلام الله هو معني قديم لا يتعلق بـمشيئة الله ولا إرادته .
قال السجزي : " اعلّموا - أرشدنا الله وإياكم- أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب ، والقلاسي ، والصالح ، والأشعري ، وأقرانهم ، الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة ، وهم معهم ، بل أخس حالاً منهم في الباطن .
وانظر رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص/17)

43 تجدر الإشارة هنا إلى أن أبا الحسن الأشعري -رحمه الله- قد رجع عن عقيدة الكلابية وألف رسائل على عقيدة السلف ، وإن كان فيها بعض الشوائب العالقة إثر تركه لعقيدة المعتزلة، ومن ثم تركه لعقيدة الكلابية .

ومن هذه المؤلفات التي سار فيها الأشعري على نهج السلف : كتابه الإبانة وكتابه رسالة إلى أهل الثغر، وكتابه مقالات الإسلاميين . ويعد أبو الحسن من متكلمي أهل الإثبات، ومن متكلمي الصفاتية، ويعتبر من أقربهم إلى السنة وأتبعهم لأحمد بن حنبل ، بل هو أقرب إلى مذهب أحمد بن حنبل وأهل السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد، الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة كابن عقيل وابن الجوزي . وانظر حقيقة البدعة وأحكامها(ص/166)

قلت : وهذا بينٌ جلي أن المتكلم بصوت هو الله تعالى ، فما كان ينبغي لمالك من الملائكة أن يقول : " أنا المَلِكُ ، أنا الدَيَّانُ " .

وقد أخبر الله -تعالى- به في كتابه من تكليم موسى ، وسمع موسى لكلام الله يدل على أنه كلمه بصوت، فإنه لا يسمع إلا الصوت، وصوته تعالى ليس كأصوات شيء من مخلوقاته، فإن الله لا يماثل المخلوقين في شيء من الصفات، فمن شبه الله بخلقه فقد أهدى في أسمائه وآياته. 45

أما قولهم بأن صفة الكلام هو المعنى القائم بالذات!!

فهذه دعوى يكذبها الشرع واللغة.

أما الشرع: فلأن الله تعالى وصف القرآن بأنه كلمه؛ والأصل أن الصفة حقيقة في موصوفها ، وهذا القرآن مسموع وبحروف مما يدل على بطلان دعواكم أن القرآن معني يقوم بالذات.

أما اللغة: فإنه لا يقال في اللغة للكلام كلام حتى يخرج باللسان، وإنما يذكر الكلام القائم بالذات كلاماً مفيداً، فيقال: حديث نفس أو يقول في نفسه.

أما عند الإطلاق: فإن القول والكلام لا يقال إلا لما يسمع ويكون بحروف.

فإن قالوا: قال تعالى (وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ)

فجعل ما في النفس قولاً ؟

قلنا: هذه عليكم وليست لكم ؛ لأن الله لما أراد حديث النفس قال "ويقولون في أنفسهم"، ولما أراد حديث اللسان قال "بما نقول" ، فأطلق ولم يقل " بما يقولون في أنفسهم " ، فحديث النفس لا يسمى قولاً ولا كلاماً إلا مقيداً.

***فإن قالوا:**

قول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

قالوا: فسَمِيَ ما في الفؤاد من المعاني كلاماً؟؟

فجوابه: أن هذا البيت مما قد تكلم العلماء في صحته رسماً ونسباً.

نسباً: تكلم العلماء في صحته نسبه إلي ديوان الأخطل ، فقد قال أبو محمد الخشاب نحوي العراق : فنشئت شعر الأخطل فما وجدت هذا البيت.

رسماً: من حيث تحريف لفظه، حيث أن لفظه الصحيح هو "إن البيان لفي الفؤاد" ،

قال أبو البيان الدمشقي: أنا رأيته في ديوانه كذلك ، فحرّفه بعض النفاة وقالوا:

إن الكلام لفي الفؤاد.....⁴⁶

⁴⁴ أخرجه أحمد(16042) وحسنه ابن القيم في الصواعق (467/1) وابن حجر في الفتح

(74/1) وانظر صحيح الأدب المفرد (570)

⁴⁵ بتصرف يسير من مجموع الفتاوى (531/6)

⁴⁶ الشيخ أبو البيان محمد بن محفوظ الدمشقي الشافعي اللغوي ، جاءه ابن تميم الذي يدعي الشيخ

الأمين، فقال له الشيخ أبو البيان بعد كلام جرى بينهما: ويحك، الحنابلة إذا قيل لهم: ما الدليل على

أن القرآن بحرف وصوت؟ قالوا: قال الله كذا، وقال رسوله كذا، وأنتم إذ قيل لكم: ما الدليل على

أن القرآن معني "قائم" في النفس؟ قلتم: قال الأخطل "إن الكلام لفي الفؤاد" ، إيش هذا

الأخطل؟! نصراني خبيث بنيتم مذهبكم على بيت شعر من قوله، وتركتم الكتاب والسنة!

وانظر العلو للعلي الغفار(ص/284)

ثم نقول:

وعلي فرض صحته ونسبته فإنه لا يجوز أن نستدل به، لأن الأخطل من النصاري؛ هؤلاء الذين ضلوا في معني الكلام حتى زعموا أن عيسى -عليه السلام- هو نفس كلمة الله، وأن اللاهوت قد اتحد بالناسوت، وإن قولاً يستشهد له بأقوال النصاري لقول مبني على شفا جرف هار.

قال أبو العز الحنفي:

كما أن معنى البيت غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً، لقيام الكلام بقلبه، وإن لم ينطق به ولم يُسمع منه.⁴⁷

*كذلك يرد دعواهم بأن الكلام هو معنى قائم بالنفس:

" قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا (41) "

فمع كون زكريا -عليه السلام- قد أشار إليهم، كما في قوله تعالى (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) ، فلم يكن ذلك المعنى القائم بنفسه الذي عبر عنه بالإشارة كلاماً.

وكذلك في قصة مريم عليها السلام (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) ، مع كونها قد نذرت الامتناع عن الكلام، (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) وقد اتفق أهل اللسان على أن الكلام: اسم وفعل وحرف، كما أجمع الفقهاء علي أن من خلف ألا يتكلم لا يحنث بحديث النفس، وإنما يحنث بالكلام.⁴⁸

* كذلك يرد دعواهم بأن الكلام هو معنى يقوم بالنفس:

حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت بها أنفسها، ما لم تتكلم به أو تعمل به".⁴⁹

وجه الدلالة:

قد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الله -تعالى- عفى عن حديث النفس، إلا أن تتكلم، ففُرق بين حديث النفس وبين كلام اللسان.

كذلك في قوله صلى الله عليه وسلم:

"إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ".⁵⁰

فقد اتفق العلماء أن من تكلم وهو يصلي عامداً بطلت صلاته، واتفقوا على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب، لا يبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم إتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.⁵¹

***أما قولهم:** أن الله لا يتكلم بقدرته ولا مشيئته، بل الكلام لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته.

⁴⁷ شرح العقيدة الطحاوية (ص/145)

⁴⁸ مذكرة في أصول الفقه (ص/225).

⁴⁹ متفق عليه.

⁵⁰ رواه مسلم (537) وأحمد (23813)

⁵¹ وانظر شرح العقيدة الطحاوية (ص/146)

* فالرد عليه:

قوله تعالى: {ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين} وقوله تعالى {ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون} فإنه وقت النداء بظرف محدود ، فدل على أن النداء يقع في ذلك الحين دون غيره من الظروف ، وجعل الظرف للنداء لا يسمع النداء إلا فيه .⁵²

وفي حديث زيد بن خالد الجهني، قال: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: " أَلَمْ تَسْمَعُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ اللَّيْلَةَ ؟ " ⁵³ فجعل الكلام موقفاً بظرف محدد.

وباتفاق الأنبياء -عليهم السلام - فإن الله يتكلم، ومن لم يقل إن يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً يقوم بذاته لم يقل إنه يتكلم . وعلى هذا أئمة السنة كأحمد والبخاري وابن خزيمة وغيرهم متفقين على أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته ، ولم يقل أحد منهم أن القرآن قديم .

** ثم نقول:

وأصل قولهم أن كلام الله -تعالى- لا يتعلق بالمشيئة فمبناه على دعواهم نفي قيام الحوادث بالله !!!

وجواب ذلك:

أننا لا بد أن نفرق بين أصل صفة الكلام وبين آحاده ، فالله - عز وجل - متصف بصفة الكلام من الأزل ، فهي صفة ذات له عز وجل ، لم يزل - سبحانه - ولا يزال متكلماً . وأما آحاد الكلام - والذي منه القرآن - فهو بعض كلام الله - عز وجل - تكلم به متى شاء ، وعليه فصفة الكلام قديمة الجنس ، حادثة الآحاد .

قال تعالى (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمْعُوهُ وَهُمْ يُعْبُونَ)

فالحادثة إنما هي وصف لآحاد الكلام ، وليس لأصل الصفة ، فتنبه .

قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : " يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه -صلى الله عليه وسلم- أحدث الأخبار بالله " ⁵⁴

أما قولهم: القرآن هو حكاية وعبرة عن كلام الله !!

فجوابه:

أن هذا القول لم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين من المتقدمين من الصحابة والتابعين ، فدل أن ذلك من البدع المحدثه .

ونقول:

لو كان ما في المصحف عبارة أو حكاية عن كلم الله، وليس هو كلم الله حقيقة؛ لما حرم على الجنب والمحدث مسه، ولما حرم على الجنب قراءة القرآن.

*أما قولهم بالكلام النفسي الذي هو عندهم معنى واحد ، هو الأمر والنهي، والخبر والاستخبار !!

فجوابه أن جمهور العقلاء يقولون: إن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام،

⁵² انظر مجموع الفتاوي(12/131)

⁵³ أخرجه النسائي (1525) وصححه الألباني.

⁵⁴ أخرجه البخاري(2685)

فإننا إذا عربنا التوراة والإنجيل لم يكن معناهما معنى القرآن بل معاني هذا ليست معاني هذا، وكذلك " {قل هو الله أحد} [الإخلاص: 1] ليس هو معنى {تبت يدا أبي لهب} [المسد: 1] " ولا معنى آية الكرسي آية الدين. وإذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة، فاعترف أئمة هذا القول بأن هذا الإلزام ليس لهم عنه جواب عقلي .

ورحم الله الإمام العز بن عبد السلام -وهو من كبار أئمة الأشعرية - حيث سئل في مسألة القرآن: كيف يعقل شيء واحد هو أمر ونهي ، وخبر واستخبار؟ فقال : ما هذا بأول إشكال ورد على مذهب الأشعري .⁵⁵

* ومن التناقض البيّن :

أنك تري الأشاعرة يقولون بإثبات صفات لله -تعالى- لها معانٍ زائدة عن الذات ، مخالفة للجهمية النفاة ، ثم تراهم يقولون بأن كلام الله معنى واحد قائم بالذات .⁵⁶

• قول الكرامية في صفة الكلام:

قالوا: كلام الله صفة له وهو كلام بحرف وصوت ، ولكن الله -تعالى- قد تكلم بعد أن لم يكن متكلماً ، فالكلام صفة حادثة له .⁵⁷

* الرد على الكرامية:

فقد وصفتم الله -عز وجل- بصفات البشر، حيث أن المرء لم يكن متكلماً ثم تكلم ، وهذا نقص في حق الله -عز وجل- ننزه ربنا تبارك وتعالى عنه. ثما قولوا لنا : ما الفرق بين القول بأن الله -تعالى- تكلم بالقرآن الكريم بعد أن لم يكن متكلماً به ، والقول بأنه مخلوق !!؟!

* كما أنه يلزم من قولكم هذا لزوم باطله منها :

1- أن الله -تعالى- قد كان ناقصاً في صفاته ثم كمل، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً عظيماً.

2- إن الله -تعالى- تحل فيه الحوادث، ومن تحل فيه الحوادث فهو حادث.

** قول الواقفة في كلام الله عز وجل :

و بدعة الوقف هي بدعة تابعة لبدعة خلق القرآن، وأصحابها إنما أظهروا هذا الوقف في كلام الله -تعالى- بعد أن أستخلف المتوكل علي المسلمين فقمع بدعة خلق القرآن، فاحتال ناس ممن كانوا يعتقدون بقول جهم لترويج بدعتهم ، فاخترعوا قولاً لم يفصحوا فيه بخلق القرآن خوفاً على أنفسهم، فقالوا لا ندري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله.

⁵⁵ لوامع الأنوار البهية (ص/166) والتسعينية (3/952) وتناقضات الأشعرية (ص/63)

⁵⁶ وانظر تناقضات الأشاعرة (ص/60)

⁵⁷ ويعود أصل الكرامية إلي محمد بن كرام السجستاني، قال عنه ابن حجر: العابد المتكلم شيخ الكرامية، ساقط الحديث على بدعته . قال ابن حبان: خذل حتى النقط من المذاهب أردأها. وقد دعا ابن كرام الناس إلى تجسيم معبوده ، وزعم أنه جسم له حد ونهاية، بل شابه النصرى في وصف الإله بأنه جوهر، وانظر الفرق بين الفرق (ص/189)

وهؤلاء قد ذمهم السلف على ذلك وعدّوا أن من وقف في حكمه على كلام الله فهو جهمي . كما نص على ذلك : أحمد وسفيان بن عيينة وغيرهما .⁵⁸

****الرد على الواقعة:**

1-وأما قولكم هذا فهو في حقيقته شك في كلام الله عز وجل، لأنه ما توقف إلا لما شك في إضافة هذه الصفة إلي الله عز وجل إضافة صفة إلى موصوف، والشك في دين الله كفر.

*سئل عنهم الإمام أحمد –رحمه الله-فقال :

هؤلاء أضر من الجهمية على الناس، فإن لم تقولوا ليس بمخلوق فقولوا مخلوق. ومن يشك في هذا . سبحان الله أفي هذا شك ؟ !⁵⁹
قال الدارمي :

لا ينبغي لمصلٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يشك في شيء من صفات الله وكلامه، كما أنكم حين شككتكم في ذلك لم تأمنوا أن يكون كلام الله مخلوق ، فكيف تنسبون من قال بخلق القرآن إلى البدعة، وأنتم في شك من أمرهم .⁶⁰

**** قول الروافض في القرآن:**

هم في ذلك على فرقتين :

- 1- هشام بن الحكم وأصحابه: يقولون إن القرآن لا خالق ولا مخلوق، وهو كلام الله كما قاله جعفر بن محمد وسائر أئمة السنة .
- 2- والفرقة الثانية : يزعمون أنه مخلوق محدث لم يكن ثم كان كما تزعم المعتزلة والخوارج ، وهؤلاء قوم من المتأخرين منهم .⁶¹

58 فائدة مهمة :

والذين توقفوا في مسألة خلق القرآن طائفتان :

الأولى : كانت تعتقد جزماً أن القرآن كلام الله -تعالى- غير مخلوق ، كما هو اعتقاد السلف ، لكنها توقفت وتركت الخوض في هذه النازلة تورعاً وكرهت الدخول فيها باعتبار أنها مسألة محدثة . وهذا مما ذمهم العلماء عليه ؛ فليس هذا موطن تورع وسكوت ، بل هو موطن الصدع بالحق والجهاد بالعلم .
قال ابن قتيبة :

ليس في غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر في الدين قد انتشر هذا الانتشار وظهر هذا الظهور ولو أمسك عقلاؤهم ما أمسك جهلاؤهم، ولو أمسكت الألسنة ما أمسكت القلوب، فالشك لا يداوى بالوقوف، والبدعة لا تدفع بالسنة ، وإنما يقوى الباطل أن تبصره وتمسك عنه . (إختلاف اللفظ (ص/246)

(2) الثانية :

وهم المعنيون بالحديث عنهم ، الذين توقفوا عن الخوض في هذه المسألة لأنهم لم يتبين لهم الحق فيها ، فهم شكاكة . ذكره الدكتور أحمد حمدان محقق كتاب شرح أصول اعتقاد السنة للالكائي(2/323)

⁵⁹ وانظر الإبانة عن أصول الديانة (2/981)

⁶⁰ الرد على الجهمية للدارمي(ص/176)

⁶¹ وقد نقل الطبري في صريح السنة(ص/22)عن جعفر الصادق أنه سئل عن القرآن، فقال: أقول فيه ما يقول أبي وجدي: ليس بخالق ولا مخلوق، وإنما هو كلام الله عز وجل. = (أخرجه

***تنبية :**

الرد على لروافض في قولهم بخلق القرآن سبق في الرد على المعتزلة والجهمية .
***الرد على الفلاسفة:**

وقال الفلاسفة أن القرآن أنه ليس كلام الله عز وجل، بل هو محض تخيلات، وعليه فإنه ليس مصدراً للأحكام الشرعية، على زعمكم.
قال ابن تيمية:

وما ذكره من حدوث أصوات في نفس الإنسان يسمعتها: إما يقظة وإما مناماً، يحصل لأحاد الناس في كثير من الأوقات ، وسمع الإنسان للهواتف في نفسه أكثر من أن يحصى، فإن كان تكليم موسى من هذا الجنس، فأحاد الناس شركاؤه في هذا، فكيف بالأنبياء، فكيف بالمرسلين؟! ⁶²

*** مسألة اللفظية وحكمها :**

وهي من المسائل التي تتعلق بهذا المبحث مسألة ، حيث ظهر من يقول: أن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة .

وأول من قال بها الحسين بن علي الكرابيسي، فلما علم الإمام أحمد بن حنبل بهذه المقالة أنكرها وأمر بهجر الكرابيسي ، بل وقال: اللفظية جهمية.

ومقالة " لفظي بالقرآن مخلوق " جملة مجملة ، والقاعدة في الألفاظ المجملة :
"كل كلام مجمل في حق الله، فلا يُقبل مطلقاً ولا يرد مطلقاً "

فإن اللفظ يطلق على معنيين:

أ-المصدر: الذي هو فعل الفاعل، أي التلفظ.
ب-الملفوظ به: وهو القرآن نفسه.

وعليه نقول:

إن قصد قائل لهذه العبارة المعني أن الأول الذي هو التلفظ ؛ فلا شك أن ألفاظنا بالقرآن وغير القرآن مخلوقة، وإن قصد المعني الثاني، فهي عبارة الجهمية والمعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن .

قال أحمد : اللفظ بالقرآن غير مخلوق . ⁶³

وقال **عبدالله بن أحمد** سمعت أبي يقول:

كل من يقصد إلى القرآن بلفظ أو غير ذلك يريد به مخلوق فهو جهمي . ⁶⁴

البيهقي في الاعتقاد(ص/107) وقال : (صحيح مشهور)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما شيوخ الإمامية فكانوا يقولون: القرآن ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله كما قاله جعفر بن محمد وسائر أئمة السنة ، ولكن لا أعرف هل يقولون بدوام كونه متكلماً بمشيئته، كما يقوله أئمة أهل السنة ، أم يقولون: تكلم بعد أن لم يكن متكلماً ، كما تقوله الكرامية وغيرهم . وانظر منهاج السنة النبوية (2/247) ومقالات الإسلاميين (ص/32) وشرح السنة (1/169).

⁶² منهاج السنة النبوية(5/333)

⁶³ نقله عنه إبراهيم بن سعيد في طبقات الحنابلة(1/120)

⁶⁴ وانظر السنة (ص/67)

*** تنبيه مهم =**

فائدة:

واعلم أن الكلمة التي تحتل التفصيل المذكور آنفاً هو قوله "لفظي بالقرآن مخلوق"، أما إن قال: أقول "القرآن مخلوق" وأقصد حركات القارئ وصوته!! قلنا:

كان هذا المعني – وإن كان صحيحاً – ليس هو مفهوم كلامه، ولا معني قوله، فإن المسلمين إذا قالوا: القرآن كلام الله؛ لم يريدوا بذلك أن أصوات القارئ وحركاتهم قائمة بذات الله وإذا قالوا: هذا الكلام حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم؛ لم يريدوا بذلك أن حركات المحدث وصوته قامت بذات النبي صلي الله عليه وسلم.⁶⁵

• وخير ما نختم به مسألة اللفظية :

*قال الذهبي :

والقرآن العظيم حروفه وألفاظه كلام رب العالمين غير مخلوق، وتلفظنا به وأصواتنا به من أعمالنا المخلوقة، ولكن لما كان الملفوظ لا يستقل إلا بتلفظنا والمتلو لا يسمع إلا بتلاوة تالٍ صعب فهم المسألة وعسر إفراز اللفظ الذي هو الملفوظ من اللفظ الذي يعني به التلفظ، والخوض في هذا خطر، نسأل الله السلامة في الدين، وفي المسألة بحوث طويلة الكف عنها أولي، وخاصة في هذه الأزمنة المزمنة.⁶⁶

*قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وكان الأئمة الكبار يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة المشتبهة، لما فيها من لبس الحق بالباطل، مع ما توقعه من الإشتباه والفتنة، فإذا لم يكن اللفظ منقولاً ولا معناه معقولاً ظهر الجفاء والأهواء، لذا قال مالك رحمه الله "إذا قل العلم ظهر الجفاء وإذا قلت الآثار كثرت الأهواء".⁶⁷

= هذا التقييد في قول أحمد – رحمه الله- في مسألة اللفظية مما قد غفل عنه من قد حكي قوله على الإطلاق .

فما قد ورد عن أحمد من الإطلاق بأن اللفظية جهمية فهو محمول على من قصد منهم باللفظ الملفوظ، الذي هو القرآن نفسه، كما نقله عنه ابنه عبد الله والإمام البيهقي، وكذا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي، فقد قال شيخ الإسلام: ولهذا قال أحمد في بعض كلامه: من قال لفظي بالقرآن كخلق يريد به القرآن فهو جهمي أحتراراً عما إذا أراد به فعله وصوته. وقال الذهبي: كان الإمام أحمد لا يرى الخوض في هذا البحث خوفاً من أن يتذرع به إلى القول بخلق القرآن، والكف عن هذا أولي .

* نقول: وعليه فما ورد من إطلاقات الإمام أحمد على اللفظية إنهم جهمية فهو محمول على علمه أن هؤلاء إنما أرادوا التنستر خلف هذه الكلمة للقول بخلق القرآن . وكذلك يقال فيما ورد عن الإمام أحمد من روايات مطلقة في تكفير اللفظية، فهي هذه الروايات ينبغي حملها على الرواية التي قال فيها:

من قال لفظي بالقرآن مخلوق – يريد به القرآن – فهو كافر؛ فإن هذا التقييد قد حفظه عن أحمد ابنه عبد الله. وانظر سير أعلام النبلاء (11/ 290) ودرء تعارض العقل والنقل (1/ 251) وفتح البرية بتلخيص الحموية (ص/ 820)

⁶⁵ ذكره ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (1/ 248)

⁶⁶ وانظر سير أعلام النبلاء (13/ 101)

⁶⁷ وانظر درء تعارض العقل والنقل (1/ 255)

• حكم من قال بخلق القرآن:

أما تكفير من قال بخلق القرآن فقد ورد عن سائر أئمة السلف في عصر مالك والثوري ثم عصر ابن المبارك ووكيع ثم عصر الشافعي وعفان والقعني ثم عصر أحمد ابن حنبل وعلي بن المديني ثم عصر البخاري وأبي زرعة الرازي ثم عصر محمد بن نصر المروزي والنسائي ومحمد بن جرير وابن خزيمة .⁶⁸ قال عبد الله بن المبارك:

سمعت الناس منذ تسعة وأربعين عاماً يقولون: من قال بأن القرآن مخلوق، فامرأته طالق ثلاثاً البتة .⁶⁹

قال سفيان بن عيينه :

من قال أن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر.⁷⁰

*قال عبد الله بن أحمد سمعت أبي -رحمه الله- يقول:

من قال: القرآن مخلوق فهو عندنا كافر ؛ لأن القرآن من علم الله عز وجل، قال الله عز وجل { فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم } ، ومن قال علم الله مخلوق فهو كافر ؛ لأنه يزعم أنه لم يكن لله علم حتى خلقه .⁷¹

*وقد عدَّ اللالكائي أسماء كثيرة من طبقات شتى ، ثم قال رحمه الله :

قالوا كلهم: القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر. فهؤلاء خمس مائة وخمسون نفساً ، أو أكثر ، من التابعين ، وأتباع التابعين ، سوى الصحابة الخيرين ، على اختلاف الأعصار ، ومضي السنين والأعوام ، ونقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر ، لا ينكر عليهم منكر ، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه .⁷²

***فوائد مهمة :**

1- ما روي مرفوعاً: "من قال القرآن مخلوق فهو كافر" ، لا يصح نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم .⁷³

2- كفر من قال بخلق القرآن إنما هو من كفر وشرك التعطيل ، والذي يكون متعلقاً بذات المعبود وأسمائه وصفاته، وهو أقبح أنواع الشرك ، كشرك فرعون وأشباهه،

⁶⁸ العلو للعلي الغفار(ص/173)

⁶⁹ انظر شرح اعتقاد أهل السنة (386/2) وكذلك ممن أفتي بكفر من قال بخلق القرآن الأئمة الشافعي وأحمد والبخاري.

⁷⁰ أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (ص/28)وسنده حسن.

⁷¹ وانظر المصدر السابق(ص/18)

⁷² شرح أصول الاعتقاد (344/2)

⁷³ أما روايته مرفوعاً فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات(107/1)والسيوطي في اللآلي المصنوعة (11/1)

قال الدارقطني: في سنده محمد بن عبيد يكذب ويضع الحديث. وقال الذهبي: روي من وجوه باطلة . قال الشوكاني: في إسناده محمد بن عبد الله بن عامر السمرقندي وضاع . وكذا رواه ابن عدي والخطيب بأسانيد فيها مجاهيل . وانظر اللآليء المصنوعة(11/1) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعات(134/1) وترتيب موضوعات ابن الجوزي للذهبي(ص/17).

فالشرك والتعطيل متلازمان .
والقول بخلق القرآن كفر ظاهر ؛ إذ هو تكذيب لنصوص الوحيين ، وإلحاد في أسماء الله وصفاته ، وتشبيهه الله -تعالى- بخلقه ، وهذا كفر محض.
3-قول الأئمة بتكفير القائل بخلق القرآن يتوجه على أنه كفر نوع لا كفر عين ، فلا يكفر القائل بهذا حتى تقام عليه الحجة وتزال عنه الشبهة ، فإن أصر بعدها كان كافراً نوعاً وعيناً .
لذا فالحكم على الأعيان ، كالقول إن فلاناً القائل بخلق القرآن كافر ؛ فهذا أمر آخر ، يحكم به القاضي ، أو العالم المتأهل للكلام في ذلك ، بناء على صحة إيقاع الوصف على المعين ، باستيفائه شروطه ، وانتفاء الموانع المؤثرة عنه .
*واستدل شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا التفريق بأن الإمام أحمد – وغيره من السلف – لم يكفّر كل من قال بخلق القرآن ، فقال :
إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره . ممن ضربه وحبسه ، واستغفر لهم ، وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر ، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام ؛ لم يجز الاستغفار لهم ؛ فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع ، وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة ؛ صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية ، الذين كانوا يقولون: القرآن مخلوق ، وإن الله لا يرى في الآخرة .

وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفّر به قوماً معينين ، فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ؛ ففيه نظر ، أو يحمل الأمر على التفصيل : فيقال:
أ) من كفّره بعينه؛ فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه .
ب) من لم يكفّره بعينه؛ فلانتفاء ذلك في حقه ، مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم. والدليل على هذا الأصل: الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار.⁷⁴
*وهذا التفريق السابق بين النوع والعين يفسر لنا ما قد يرد من الإشكال في فعل الإمام أحمد الذي كان يكفّر الجهمية، مع كونه كان يصلي خلف أئمة عصره القائلين بخلق القرآن ، بل ويدعو ويستغفر لهم ويعتقد إمامتهم وينهى عن الخروج عليهم.

• الشبهات التي استدل بها من قال بخلق القرآن والرد عليها:

1- قوله تعالى: (اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)⁷⁵
وجه الدلالة: القرآن شئ ، فيدخل في عموم الآية ، فالله خالق وما سواه مخلوق.
الجواب على هذه الشبهة:

⁷⁴ مجموع الفتاوى (489/12).

⁷⁵ **نقول** : هذه الآية مما استدل به القاضي أحمد بن دؤاد علي قوله بخلق القرآن ، وهذا من أعاجيب المعتزلة، وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد ، فأخرجوها من عموم الآية، وأدخلوا كلام الله في عمومها ، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة.

قوله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) هذا من العام الذي يراد به الخاص، ونظير ذلك قوله تعالى عن ملكة سبأ (وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23)) (النمل: ٢٣) مع أنه لم يدخل في ملكها شيء كثير، مثل ملك سليمان عليه السلام. كذلك قوله " تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا " ، فهذا العموم ليس على ظاهره، فهي لم تدمر السماوات والأرض.

وعليه نقول: أن قوله تعالى (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) إنما يتوجه لكل ما هو قابل لأن يكون مخلوقاً ، والقرآن الذي هو كلام الله صفة من صفات الله عز وجل ليس مخلوقاً، لأن الله -عز وجل- لم يزل ولا يزال متصفاً بصفاته الحسني.
***وكذلك يقال :**

أن عموم هذه الآية لا يتناول القرآن ؛ لأنه بهذه الآية التي هي من القرآن قد حصل الإعلام بكونه خالقاً لكل شيء ، وما حصل به الإعلام لم يكن داخلًا تحت الخبر، ولو أن شخصاً قال: لا أتكلم اليوم كلاماً، إلا كان كذباً ، لم يدخل إخباره تحت ما أخبر به.

وهذا نفسه مذكور في القرآن في قوله تعالى في قصة مريم عليها السلام (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26)) (مريم: ٢٦) به حصل الإخبار بأنها لا تكلم الإنس ، ولم يكن ما أخبرت به داخلًا تحت الخبر، وإلا كان قولها هذا مخالفاً لنذرها.⁷⁶

***وكذلك يقال :**
أرأيتم قوله تعالى (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ) فقد أخبر الله -تعالى- عن نفسه أنه شيء ، فهل ترونه -تعالى- داخلًا في عموم قوله (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) ، فجوابكم سيكون بالنفي ؛ لأنه سبحانه هو الخالق ، نقول :
فكذلك قولوا في صفاته -ومنها الكلام- أنها غير مخلوقة ، فالكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات .

***ومن هذه الشبهات:**
2- قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) (النساء: 171)
فقالوا: بالإجماع فإن عيسى -عليه السلام- مخلوق ، فلمَّا كان عيسى -عليه السلام- كلمة الله، دل أن كلام الله مخلوق !!
وجواب ذلك:

أن المقصود بقوله تعالى: "وكلمته" هو أن عيسى -عليه السلام- إنما خلق بكلمة الله ، وهي قوله تعالى: "كن" ، فإن عيسى -عليه السلام- لم يُخلق من أبوين كسائر الخلق . وإنما كان بكلمة "كن" ، وليس هو الكلمة، وإنما أضيف إلى الله على سبيل التشريف.

قال ابن تيمية:
المعنى في قول الله جل ثناؤه: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم} فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: كن فكان عيسى بكن ، وليس

⁷⁶ وانظر بدائع الفوائد (ص/218).

عيسى هو الكن ، ولكن كان بكن ، فالكن من الله قول وليس الكن من الله مخلوقاً .⁷⁷
ومن هذه الشبهات:

3-قالوا: قال الله: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} والجعل في اللغة: هو الخلق، بدلالة قوله تعالى(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) أي خلقها، فالمجوعول لا يكون إلا مخلوقاً.

جواب الشبهة:

الجعل من الله -عز وجل- قد تأتي بمعنى الخلق، وقد تأتي بمعنى تقدير الشيء وتصيره على حال بعينه مراد للفاعل.

أ-فمن أمثلة المعنى الأول:

{ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها} [الأعراف: 189] وقال تعالى: ، وقوله تعالى: { ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة} [المائدة: 103] .

ب- ومن أمثلة المعنى الثاني:

قوله تعالى {فجعلهم جذاذاً} [الأنبياء: 58] ، وقوله تعالى {فجعلهم كعصف مأكول} [الفيل: 5] ، وقول إبراهيم عليه السلام (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ) (إبراهيم: ٤٠) فمثل هذه الآيات لا يفسر فيها الجعل بمعنى الخلق ، بل المراد أن الفاعل قدر الشيء على حال معين .

فقوله تعالى {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} إنما يُحمل على المعنى الثاني ، فالله -عز وجل - قدره وصيِّره كلاماً عربياً لنزوله على العرب ، مصداقاً لقوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِبَلْسَانَ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) وما أجمل ما قاله الألوسي في تفسير الآية:

والجعل هنا بمعنى التصيير ، لا بمعنى الخلق المعدى لواحد، لأن ذلك يأباه ذوق المقام؛ لأن الكلام لم يسق لتأكيد كونه مخلوقاً ، وما كان إنكارهم متوجهاً عليه ، بل هو مسوق لإثبات كونه قرآناً عربياً ، لا يعسر عليهم فهم معانيه.⁷⁸ هذا وقد ذكر علماء التفسير كالطبري والقرطبي وابن كثير -رحمهم الله -في تفسير قوله تعالى "إنا جعلناه".

قالوا: أنزلناه، وقيل سمَّيناه، وقيل وصفناه.

*** كذلك من جملة هذه الشبهات :**

4- عن أبي أمامة رضي الله عنه- أن النبي --صلى الله عليه وسلم - قال: البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تُحاجَّان عن أصحابهما".⁷⁹

⁷⁷ مجموع الفتاوى(418/8)

والمأمل في هذه الآية يدرك كم تجارت الأهواء بأهلها ، فهذه الآية يستدل النصارى على أن عيسى -عليه السلام- من الله ؛لأنه كلمة الله التي هي صفته ، وبهذه الآية يستدل الخلقية على أن كلام الله مخلوق ؛لأن عيسى كلمة الله وعيسى مخلوق ، وأما أهل الحق فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

⁷⁸ روح المعاني (6/13).

⁷⁹ رواه مسلم (804)وأحمد(22267)=

فقالوا: فما كان غمامة أو غياية فلا بد أن يكون مخلوقاً.
وكذلك فمما احتج به الجهمية علي الإمام أحمد -رحمه الله- في قولهم بخلق القرآن :
حديث النبي- صلى الله عليه وسلم :-
(" إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ)⁸⁰
فقالوا : فما كان يأتي ويجيء فلا بد أن يكون مخلوقاً .
**** جواب هذه الشبهة:**

نقول: أما قولهم أن مجيء سور القرآن يدل على أنه مخلوق!!
فالجواب عليه من وجوه:

1- قد ثبت بالكتاب والسنة أن الله -عز وجل- يجيء ويأتي، فهل يقول أحد بأن الله مخلوق؟! ⁸¹، فعلي فرض أن الذي يأتي هو القرآن نفسه، فليس في مجيئه دلالة على أنه مخلوق .

2- ثم نقول أن الذي يأتي هو ثواب قراءة القرآن، و ثواب قراءة القرآن مخلوق باتفاق أئمة الإسلام .⁸²

فإن قلتم: ظاهر الأحاديث هو مجيء البقرة وآل عمران، فلما تؤلون المجيء بأنه مجيء الثواب؟؟
فجوابه:

العجيب في أمركم أنكم -أي المعتزلة القائلون بخلق القرآن- قد أقرتم تأويلكم بأن مجيء الله -عز وجل- هو مجيء أمره، رغم أنه تأويل بلا قرينة، ثم تنكرون تأويل مجيء البقرة وآل عمران بأنه مجيء الثواب ،وهو تأويل صحيح قد دلت القرائن من الكتاب والسنة والإجماع .⁸³

***ومن هذه الشبهات :**

=وكان إسماعيل بن عليه ممن يذكر هذا الحديث في القول بخلق القرآن ويقول: يحاجان بلسان، ولكنه تاب ورجع عن قوله بخلق القرآن، وقال: ليس من الله شيء مخلوق، كما ذكر ذلك الذهبي في السير وأحمد بن حنبل وغيرهما.

⁸⁰ أخرجه أحمد(22950) وانظر الصحيحة(2829)

⁸¹ وهذا مما أجاب به أحمد علي الجهمية في استدلالهم بهذا الحديث على خلق القرآن، وانظر مجموع الفتاوي لابن تيمية(398/5)

⁸² انظر المصدر السابق (399/5)

⁸³ وعلى هذا فمثل تفسير المعتزلة لأحاديث الصفات إنما هو من التأويل الباطل، وذلك لأنهم صرفوا الألفاظ عن ظاهرها بلا قرينة، أما فعل السلف فهو التأويل الصحيح لأنهم يصرفون اللفظ عن ظاهره بالقرائن، لذا فلقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله دقيقاً في قوله:

نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم - من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل.

ولم يقل بلا تأويل؛ وذلك لأن التأويل يكون سائغاً إذا كان بالقرائن المحتفة، أما التأويل بلا قرينة فهو في حقيقته تحريف ، وهو طريقة المتكلمين فقد نقل ابن القيم إجماع غير واحد من السلف على بطلانه.

قولهم: قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ).
وصف القرآن بأنه منزل يدل على أنه مخلوق، كما في قوله عن إنزال المطر والحديد
والأنعام!!

جوابه:

أما الآيات التي ذكرت إنزال القرآن فهو إنزال مقيد؛ حيث ذكرت أنه إنزال من الله -
عز وجل - كما في قوله تعالى: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) وقوله تعالى
(قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ)
وهذا بخلاف الإنزال المطلق كما في قوله: (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ)

ونزيد على ذلك:

أن المنزل إما أن يكون عيناً قائمة بنفسها ، وعندها يكون مخلوقاً، لأنه بائن من الله
عز وجل.

وإما أن يكون وصفاً لا يقوم إلا بغيره ، وحينئذ يجب أن من صفات الله، والكلام
وصف لا يقوم إلا بغيره ، فإذا أضاف الله الكلام إلى نفسه فهو صفة من صفاته،
أما أن الحديد فلا يكون صفة لله، فهذا غير معقول وكذا الماء النازل والأنعام، فهذه
كلها أعيان قائمة بنفسها.⁸⁴

تم بحمد الله .

⁸⁴ وانظر شرح العقيدة السفارينية لابن العثيمين (ص/187).